مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد الثاني والثلاثون/ محرم - ربيع الأول ١٤٣١هـ . يناير - مارس ٢٠١٠م

٣٢

- النواب والأمراء والعمال في العهد النبوي
- رعاية الله التربوية والعلمية للنبي ﷺ
- وثيقتان عثمانيتان عن المدينة المنورة
- من النباتات الطبية في المدينة المنورة

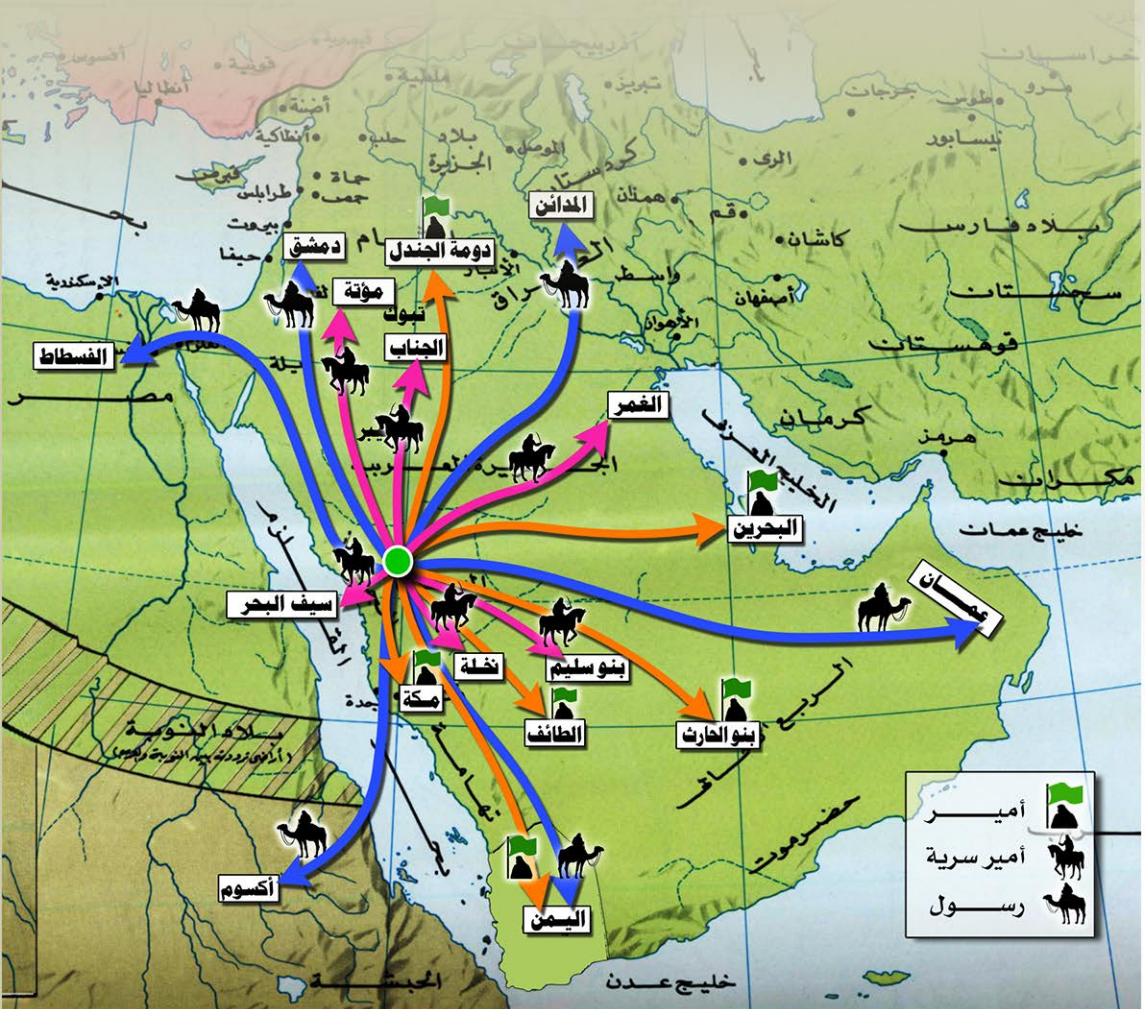

التاريخ الشامل للمدينة المنورة
للدكتور عبد الباسط بدر
ـ عرض كتاب ـ

أ. هلال محمد شعبان
باحث في مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

يعدّ كتاب: التاريخ الشامل للمدينة المنورة أول كتاب يعرض تاريخاً متسلسلاً ومتكاملاً للمدينة المنورة منذ تأسيسها وحتى عصرنا الحاضر.

وقد رصد المؤلف في كتابه الأحداث التي توالت على المدينة المنورة، وذكر التغييرات الاجتماعية والاقتصادية والسكانية والعمرانية في كل عصر من عصورها، ورتبه ترتيباً زمنياً حسب العهود التي توالت على المدينة فجاء الكتاب في ثلاثة مجلدات تضمّ ألفاً وخمسمائة صفحة من الحجم الكبير ٢٤×١٧ سم.

يبدأ الكتاب بدراسة تأسيس المدينة المنورة في فجر التاريخ باسم (يثرب)، ويناقش الروايات والآراء المختلفة في أول من سكنها من القبائل، ويستنتج من ذلك (**أن تأسيس يثرب كان على يد رجل يتزعم مجموعة بشرية هاجرت من موطنها الأصلي ـ بابل في الرواية الأولى وتهامة في الرواية الثانية ـ تبحث عن موطن جديد يوفر لها حياة كريمة، وأن هذه المجموعة وجدت في هذا الموقع أرضاً خصبة، وشجراً كثيفاً، وماء وفيراً، ووجدت أن هذا الموقع يوفر لها قدراً من الحماية الطبيعية فاستقرت فيه، وحولته إلى مدينة، وسمّته باسم زعيمها يثرب**).

ثم تحدث عن القبائل التي سكنت المدينة (يثرب) أو مرت بها،

والأسباب التي أجبرتهم على النزوح عن موطنهم الأصلي، وبيّن أن معظم اليهود في يثرب هم أحفاد مهاجرين جاؤوا من فلسطين، وأن قليلاً منهم عرب تهودوا وانضموا إلى اليهود الآخرين، وناقش الروايات الواردة في تحديد هجرتهم إلى يثرب واستخلص من ذلك (**أن اليهود لم يستوطنوا في يثرب في عهد موسى على الإطلاق ولا في عهد يوشع ولا في عهد داود... وربما بدأت هجرتهم بسيطة محدودة بعد أن نكبهم بختنصر عام ٥٨٦ ق م، ولكن هجرتهم الحقيقية إلى الحجاز بعامة وإلى يثرب بخاصة حدثت عندما نكّل بهم الرومان في عهد تيتوس عام ٧٠م، ثم في عهد هارديان سنة ١٣٢م، وبين هذين الزمنين خرجت قبائل يهودية كاملة من فلسطين واتجهت جنوباً في شبه الجزيرة العربية وبدأت تستوطن الواحات فنزل بعضها في تيماء وبعضها في خيبر، ووصل بعضها الآخر إلى يثرب**).

وتحدث عن نزوح قبيلتي الأوس والخزرج من اليمن قبيل خراب سدّ مأرب واستيطانهم المدينة، والحروب التي دارت بينهما مدة مائة وعشرين عاماً بتخطيط من اليهود، حتى جاء الإسلام وجمعهما وألّف بين قلوبهما.

ثم عرض بتفصيل واف الأحداث التي شهدتها المدينة المنورة عندما صارت عاصمة الدولة الإسلامية الأولى، فذكر دخول الأوس والخزرج في الإسلام وهجرة النبي ﷺ والمسلمين إليهم، وتأسيس المسجد النبوي الشريف، وذكر أهمّ التغييرات التي أجراها النبي ﷺ أول قدومه ومنها: إلغاء الاسم القديم للمدينة (يثرب) وإطلاق تسميات جديدة هي طيبة وطابة والمدينة، ومنها عملية المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، يقول المؤلف: (**أراد رسول الله ﷺ بالمؤاخاة أن يتجاوز كل المفهومات الجاهلية، ويجعل العلاقة الجديدة بين القادمين من مكة وأهل المدينة علاقة أخوة تفوق الأخوة الأسرية**).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأكمل عرض حياة النبي ﷺ في المدينة والأعمال التي قام بها كالغزوات والسرايا والمعاهدات والموادعات، وانتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى مخلّفاً للمسلمين دولة قوية عاصمتها المدينة المنورة (**وانتهت بوفاته أهمّ مرحلة في تاريخ المدينة المنورة وأعظمها على الإطلاق مرحلة بناء المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية الأولى**).

ودرس الجانب السياسي للمدينة في هذه المرحلة ولاحظ الانعطاف الكبير في الحياة السياسية للمدينة فور وصوله ﷺ إليها حيث يقول: (**وكانت رسائل رسول الله ﷺ إلى الملوك في أطراف الجزيرة العربية وخارجها إعلاناً واضحاً عن تكامل البنيان السياسي للدولة الإسلامية. هذا الكيان الذي يبدأ بعبارة واضحة في الوثيقة التي أمر بكتابتها رسول الله ﷺ بعد وصوله إلى المدينة والتي تقول: إن المسلمين أمة واحدة**).

كما درس الجانب الاقتصادي للمدينة وذكر أن الهجرة أثّرت على الاقتصاد خاصة وأن المهاجرين كانوا في الغالب فقراء ثم أشار إلى أن الغزوات والسرايا التي كان يبعثها رسول الله ﷺ رفعت المستوى الاقتصادي في المدينة حيث قال: (**وقد رفعت غنائم الغزوات اقتصاد المدينة وساعدتها على مواكبة الزيادة السكانية فيها**)، وتحدث عن الموارد الأخرى للمدينة المنورة كالزراعة والتجارة وتربية الماشية.

كما تحدث عن الازدياد السكاني والتطور العمراني في المدينة بسبب هجرة المسلمين إليها حيث يقول: (**تطور العمران في المدينة خلال السنوات العشر بعد الهجرة ليستوعب الزيادة السكانية الكبيرة**).

وتحدث عن المدينة في العهد الراشدي وخلافة أبي بكر ﷺ وإنفاذه جيش أسامة وقتاله المرتدين، ثم خلافة عمر بن الخطاب ﷺ والدور الذي قام به في تحقيق العدل ونشر الدعوة، وقيامه بمهامّ جليلة لتطوير مجتمع

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المسلمين كرعايته لأسر المجاهدين، وتنظيمه الخدمة البريدية، وتوفيره الأمن والسلامة، وفرض رواتب سنوية لكل فرد من أفراد المسلمين، وتوسعته المسجد النبوي الشريف.

ثم تحدث عن الحياة الرغيدة التي عاشها المسلمون في السنوات الست الأول من خلافة عثمان بن عفان ﷺ وما أعقب ذلك من الفتن التي نشرها عبدالله بن سبأ والتي سقط ضحيتها الخلفية عثمان شهيداً، واحتدام الصراع بين علي بن أبي طالب ﷺ الذي تولى الخلافة بعده وبين بعض الصحابة والذي انتهى بتنازل الحسن بن علي ﷺ عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان.

ثم وصف التغييرات التي طرأت على المدينة في العهد الأموي والأحداث العاصفة التي مرّت بها وتقلبها بين شدة ورخاء بحسب الأمير الذي يتولاها، ودرس أسبابها ونتائجها ودوّن العبر التي تستلخص منها، وذكر الجوانب الاقتصادية والشرعية والعمرانية والسياسية لذلك العهد. يقول المؤلف: **(يمكن أن نستنتج من ذلك كله أن الأمن السياسي كان مستتباً في المدينة مدة الحكم الأموي باستثناء فترة موقعة الحرة، وقد حدث تحول الولاء من الأمويين إلى الزبيريين ومن الزبيريين إلى الأمويين دون إراقة دماء ودون امتناع أحد؛ لذا يصح أن نقول: إن المدينة بعامة قد تحولت إلى دار سلام يجنح أهلها إلى الموادعة وتجنب الدماء ولو كانوا غير راضيين عن أمرائهم)**.

وتابع المؤلف عرض الأحداث الإيجابية والسلبية التي شهدتها المدينة في العصر العباسي، ودرس تحولاتها الاجتماعية والثقافية والسكانية خلال تلك القرون.

وتتبع بتسلسل دقيق التغييرات والأحداث التي أثرت في المدينة في عهود

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الفاطميين والأيوبيين والمماليك والإمارات فيها وعلاقتها السلمية والحربية مع الإمارات المجاورة على امتداد خمسة قرون متوالية، وسجّل الصراعات والحروب والزلازل والبراكين والحرائق الضخمة والأوبئة والفيضانات التي شهدتها.

بعد ذلك وقف المؤلف وقفة مطولة عند التغييرات التي حدثت في المدينة المنورة في ظل العثمانيين منذ إعلان ولائها للسلطان سليم الأول عام ٩٢٠هـ وحتى خروج فخري باشا بجيشه منها عام ١٣٣٧هـ، ودرس الأوضاع السياسية والعلاقات الاجتماعية والتغيرات السكانية وتطور الحالة الثقافية خلال تلك المدة.

وأفرد فصلاً ضافياً للتطورات المتلاحقة التي شهدتها المدينة منذ بداية العهد السعودي عام ١٣٤٤هـ، واستعرض التطور الملموس الذي شهدته المدينة والذي شمل التنظيمات الإدارية والتعليم والمواصلات والبريد والشؤون الصحية وافتتاح مستشفيات عامة وخاصة وافتتاح مطار فيها، وازدهار الحركة الثقافية بصدور مجلة المنهل وجريدة المدينة المنورة، ووقف على بداية الملحمة العمرانية الضخمة التي تشهدها المدينة في الوقت الحاضر، واهتم بتسجيل التطور العمراني للمعالم الأثرية العريقة في المدينة المنورة في كل مرحلة وفي مقدمتها: المسجد النبوي ومسجد قباء ومسجد القبلتين ومسجد الميقات ومسجد الجمعة...إلخ.

وتحت عنوان : المدينة اليوم يستعرض المؤلف واقع المدينة الحضاري في العقد الأول من القرن الخامس عشر الهجري من حيث الحالة التنظيمية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والصحية والتعليمية،ويعقد مقارنة بين ما كانت علية في العصور السابقة وبين ما هي اليوم من الرقي والتطور، وتطلع إلى مستقبل المدينة الواعد بمزيد من النمو والازدهار بعد استكمال

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المشاريع الإنشائية والعمرانية والتي هي قيد التنفيذ والإنشاء.

وبعد هذا الاستعراض الطويل لتاريخ المدينة المنورة ختم المؤلف الكتاب بمجموعة من الفهارس الفنية والخرائط والرسوم والصور التوضيحية لمواقع الأحداث يعزز فيها المعلومات التي عرضها هذا الكتاب مما يسهّل الرجوع إليها والاستفادة منها.

كما أضاف ملحقاً يحوي معلومات مفيدة أهمها:

١-الأحاديث النبوية التي وردت في المدينة المنورة مع تخريجها وبيان درجتها.

٢-المخطوطات المؤلفة عن المدينة المنورة الموجودة في مكتبات ومتاحف منتشرة في أنحاء العالم ولم تنشر بعد.

٣-المصادر والمراجع المطبوعة عن المدينة المنورة.

يعدّ الكتاب مرجعاً هاماً في تاريخ المدينة المنورة القديم والحديث، وهو أول كتاب يعرض تاريخاً متكاملاً للمدينة المنورة منذ نشأتها وحتى عصرنا الحاضر.

يتميز أسلوب العرض فيه بالسلاسة والتشويق، كتبه المؤلف بلغة أدبية رفيعة المستوى، ومنهج يعتمد على التحليل والتدقيق والنقد والمقارنة، ويتصف بروح موضوعية واقعية حيادية متعمقة، ويلتزم بالأمانة التاريخية وتوثيق الأخبار، وهو مناسب للدارسين والباحثين والمثقفين ومحبي المدينة بعامة.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة